الأهرام

المصدر: الكفاح العربى

التاريخ : ١٧ اكتوبر ٢٠٠٥

أخصام دمشق يشككون في الرواية السورية الرسمية

◄ الدويّ الأقوى بعد اغتيال الحريري

غازي كنعان الانتحار الغامض

انتحار من خارج المألوف السياسي, بتوقيته ووقعه ونتائجه وملابساته. هذا هو الانطباع الاول بعد غياب غازي كنعان وزير الداخلية السورية. يزيد الامر غرابة أنه يأتي عشية اطول أسبوع يعيشه لبنان في تاريخه المعاصر, وفي ذروة الاحتكاكات السورية الاميركية حول مستقبل لبنان والعراق وفلسطين.
لماذا انتحر غازي كنعان؟
ما هي الاسرار التي دفنها معه؟
وما هي تداعيات غيابه المفاجئ في المساحة الممتدة بين بيروت ودمشق, وبين دمشق وعواصم القرار العربي والعالمي, في اللحظة الحرجة التي تعيشها المنطقة؟

الخبر كان مفاجأة من الحجم الكبير, بكل ما تعنيه المفاجأة من صدمة عاطفية وسياسية معاً: غازي كنعان أحد أعمدة النظام السوري, والرجل القوي بل الأقوى في لبنان على مدى عشرين سنة كاملة, وضع حداً لحياته برصاصة في فمه اطلقها من مسدسه الشخصي.
والخبر الذي نقلته وكالة «سانا» في 21 كلمة, اضيف اليه النعي الصادر عن مجلس الوزراء السوري في 18 كلمة, ليصبح عدد الكلمات 39, اختصر في بضع ثوان سيرة رجل ملأ حياة لبنان طوال عقدين من الزمن, وشغل اكثر من موقع حساس في بنية النظام السوري منذ العام 1965 حتى لحظة وفاته. وكان طبيعياً في ظل هذا الاقتضاب وهو من المألوف في الاعلام السوري ان تدخل وسائل الاعلام اللبنانية والعربية, الارضية والفضائية, في سباق محموم لكشف ملابسات هذا الانتحار, في ما يشبه الشهقة والذهول, في لحظة بالغة الدقة والحساسية تتكثف فيها الضغوط والمناورات السياسية, في لبنان وسوريا معاً, من اجل إحداث انعطافات حادة في التوجهات السورية, قبل ايام معدودة من صدور تقرير ديتليف ميليس, وسط اجتهادات يومية تقول بأن الولايات المتحدة سوف تستند الى مضمون هذا التقرير من اجل فرض عقوبات جديدة على سوريا بقرار ملزم من الكونغرس.

عمـــــــــــــــــــــــــــــــل شـــــــــــــــــــــــــــــــجاع

ورواية الانتحار يمكن التأكد منها, بوضوح كامل, من خلال مجموعة تصريحات وشهادات سياسية واعلامية في معرض التعليق على الحادث, نتوقف منها عند تصريح وزير الخارجية السوري فاروق الشرع الذي اتهم «بعض» وسائل الاعلام العربية

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بـ«المساهمة في قتل» وزير الداخلية السوري, قبل ان يؤكد «ان النظام السوري قوي, وان كنعان لم يكن يشكو من هذا النظام».
التعليق الآخر كان للكاتبة كوليت خوري التي كشفت ان اللواء كنعان «ابلغها مرات عدة انه ينوي الانتحار», في حضور عدد من المسؤولين السوريين بينهم وزير الاعلام الاسبق محمد سلمان وقائد الجيش الشعبي السابق اللواء محمد ابراهيم العلي, وقد نقلت عن لسانه قوله «ان الانتحار عمل شجاع عندما يتعلق الامر بالكرامة», رداً على قولها بأن «الانتحار يقوم به الجبناء». ومعروف ان وليد جنبلاط زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي كان قد تحدث عن هذه «الشجاعة» اذ قال «اذا كان كنعان قد انتحر دفاعاً عن كرامته فإنني اعتبر ذلك عملاً شجاعاً قام به رجل شجاع».
الى هذين التصريح والشهادة يمكن اضافة المعلومة التي اوردها الزميل شارل ايوب

صاحب صحيفة «الديار», وكررها في كل مداخلاته التلفزيونية بعد الحادث, ومفادها ان كنعان كان يجلس على كرسيه يومياً بعد الساعة الرابعة, بين الاشجار التي زرعها في مقبرته, وانه اوصى بنقل رفات والديه الى المكان الذي اعده كي يكون مقراً له بعد وفاته. وهذه المعلومة تتقاطع كما يظهر مع معلومات كوليت خوري التي تؤكد ان الرجل كان يرتب قضية انتحاره بهدوء, بعد القرار الاميركي بمصادرة اموالـه €واموال رستم غزالي€, وبعد التحقيق الذي خضع له على يد المحققين الدوليين, وكان يعرف تماماً ان التصريح الذي ادلى به إلى «صوت لبنان» هو «تصريحه الاخير», لانه كان قد قرر ان يضع حداً لحياته.
لكن كل هذه التأكيدات والتحقيقات والشهادات والوقائع, لم تضع حداً لمهرجان الاجتهادات والافتراضات والاحتمالات السياسية والاعلامية, التي تطوع لها اكثر من فريق واحد, في لبنان وسوريا, وخارج لبنان وسوريا, في محاولة لمواصلة الضغط على دمشق وايجاد تفسيرات سياسية داخلية للانتحار وذهب البعض الى درجة التشكيك بالرواية السورية الرسمية.
روايات
التنافس في اطلاق الاجتهادات بدأ بالتذكير بأن غازي كنعان هو ثالث مسؤول سوري ينتحر, في الاعلان الرسمي, منذ العام 1968, وقبله انتحر عبد الكريم الجندي المدير السابق للاستخبارات العامة, في مطلع اذار €مارس€ 1969, كما انتحر محمود الزعبي رئيس الوزراء السوري السابق في ايار €مايو€ من العام 2000. وذروة التشكيك جاءت من فريق يشكل احد اجنحة المعارضة السورية في الخارج وهذا طبيعي جداً اذ اكد «المجلس الوطني للحقيقة والعدالة والمصالحة في سوريا» ان معلومات توافرت له تؤكد ان كنعان اجبر تحت التهديد بالسلاح على اعطاء تصريحه «الأخير» لـ«صوت لبنان». وفي بيان وزعه بعد الانتحار قال المجلس «ان المعلومات الخاصة المتوافرة لنا تفيد ان كنعان ارغم على قراءة بيانه المكتوب». وخلص البيان الى مطالبة «المحقق الدولي ديتليف ميليس وجميع الهيئات الدولية المعنية والفاعلة باجراء تحقيق دولي مستقل في ظروف انتحار غازي كنعان, باعتباره شاهداً اساسياً, وربما مشتبهاً فيه, في قضية اغتيال رفيق الحريري, ولديه ما يكفي من المعلومات لمعرفة الفاعل الحقيقي».
بيان «المجلس الوطني» هذا, لم يلق اهتماماً كبيراً في الاوساط الاعلامية لأن هويته السياسية معروفة, وهي هوية مناهضة للنظام السوري. والتشكيكات التي اطلقتها بعض وسائل الاعلام اللبنانية بعد الحادث, ربطت بين غياب غازي كنعان والحملة الاعلامية التي روجت لها دمشق خلال الاسبوعين الاخيرين ومفادها ان تقرير ميليس سوف يكون فارغاً, وفي احسن الحالات مسيساً, لتخلص الى ان الوفاة «استنحاراً او قتلاً» تعني خلاف ذلك تماماً, لان «دمشق تعلم علم اليقين ان التقرير لن يكون فارغاً».
في السياق نفسه يمكن التوقف عند تصريحات عدد من زعماء «الاخوان المسلمين» حول «صراع أجنحة داخل النظام السوري» بلغ ذروته مع اقتراب الاعلان عن نتائج التحقيق في اغتيال الحريري, والحديث عن «اتصالات بين الادارة الاميركية واللواء كنعان لترتيب تغييرات داخل سوريا تلبي المصالح او المطالب الاميركية». وفي جملة الاجتهادات ايضاً كلام يقول ان «كنعان كان يمكن ان يكون اول المطلوبين السوريين في جريمة اغتيال الحريري, وهذا يعني احتمال تسليمه الى محكمة دولية, الامر

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الذي يسمح له بالادلاء بمعلومات كثيرة يملكها حول الحقيبة السورية في لبنان, والدعم السوري للمقاومة العراقية, ولهذا تم التخلص منه في اجراء وقائي». ومن الواضح ان هذه الاجتهادات لا تستند الى وقائع ملموسة في تقرير لجنة التحقيق الدولي الذي لم يصدر بعد, والذي يؤكد كبار المسؤولين اللبنانيين والغربيين ان شيئاً لم يتسرب منه حتى الآن, بسبب حرص ميليس على تقديمه في موعده €21 الحالي€ وحرص المعنيين في مجلس الامن الدولي على ترجمته الى اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة قبل البدء بتسريب مضمونه, وبالتالي مناقشته في جلسة خاصة يعقدها المجلس.

هدوء حزين

وبصرف النظر عن هذه الروايات والقراءات السياسية التي تستند اليها, فإن سوريا شيعت بهدوء وحزن وزير داخليتها في مسقط رأسه €بلدة بحمرا في محافظة اللاذقية€, في جنازة وصفت بأنها عادية ومحدودة, ومشى نحو الف شخص من الاقارب والرسميين وأهل البلدة وراء النعش الملفوف بالعلم السوري, فيما تدلت الرايات السود من المباني. وامام القبر كان من الصعب تجاهل العلاقة التي ربطت بين غازي كنعان ولبنان واللبنانيين الذين تعاونوا معه ومع دوره في لبنان, والذين شاركوا في التشييع عاينوا ان بين الاوسمة التي دفنت معه, اوسمة منحها اياه الجيش اللبناني والرئيس اللبناني ايضاً, وبندقية قديمة تلقاها هدية من «حزب الله», ومفتاحاً مذهباً قدمه اليه رفيق الحريري بمناسبة مغادرته لبنان في العام 2002.

وغداة التشييع تنبه الخبراء والمراقبون السوريون الى الحملة المتواصلة القائلة بأن كنعان «نحر ولم ينتحر», وتوقفوا عندها في معرض تأكيد ان ما حصل «حادث وليس حدثا», ولو انه حادث هام في مجمل تطورات الأزمة التي تمر بها المنطقة منذ صدور القرار 1559. في هذا السياق رأى جورج جبور عضو مجلس الشعب ومستشار الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد, «ان لبنان وسوريا يلفهما الحزن على ابناء انتقلوا الى رحمة الله ضمن ظروف قاسية». وقال انه بالنسبة الى انتحار اللواء كنعان «فمن المرجح بل من الواضح ان ما اقدم عليه انما اتى نتيجة لما بثته فضائية لبنانية, حيث شعر اللواء من خلاله بأن سمعته تتعرض لحملة تشويه شخصية فاختار حفاظا على كرامته ان يتوارى عن الانظار ليسبكت اللغط». واضاف جبور انه «في كل الاحوال لقد

مضى اللواء وسره معه وقد يكون بعض المقربين اليه وانا لست منهم اكثر معرفة مني بالدوافع التي قادته الى ما اقدم عليه».

وأوضح البرلماني السوري انه بالطبع تثور التكهنات حول توقيت الانتحار وتربط بينه وبين تقرير ميليس لكنني افضل ان احكم على الامر بظاهره ومن خلال كلام اللواء نفسه عن نفسه. وتابع «ان ظاهر الموضوع هو ما بثته الفضائية اللبنانية بشأن صلاته المالية وفي رسالته الوداعية كان واضحاً جداً اذ اشار الى تلك الفضائية». واعتبر جبور ان الامر واضح والتكهنات لا ينبغي لها ان تأخذنا بعيدا عن الواقع ولعل انتحاره يذكرنا بمروءة الرجال حيث يتم الهجوم عليهم في امور يعتبرونها مقدسة لديهم كالكرامة الشخصية. واستعاد جبور انه قبل خمسين عاما وجه احد النواب العراقيين تهمة العمالة الى رئيس الوزراء العراقي آنذاك وفي اليوم التالي وجد رئيس الوزراء منتحرا في فراشه. وحول امكانية قتل كنعان, شدد جبور على ان الطلقة النارية كانت في الرأس من داخل الفم وهذا وضع يصعب على قاتل ان يقوم به, ثم ان تقرير المحامي العام واضح جدا ولا يدع مجالا للتساؤل, ولا ريب ان الاحاديث عن عملية قتل مصدرها جهات لا تحب سوريا, ولا تحب الحكم, ولا ترى ان اهانة الكرامة الشخصية امر يدعو الى القيام باعمال غير عادية.

في موازاة ذلك رأى باحثون آخرون ومراقبون شرقيون وغربيون ان غازي كنعان الذي انتحر كان قد بدأ يشكل «عبءاً» على النظام السوري. بهذا المعنى يقول جوزف بوت €الباحث في معهد الدراسات السياسية في باريس€ ان كنعان تحول الى «شاهد مزعج» داخل النظام «بسبب اتصالاته مع دول غربية, وكان يشكل بديلاً يتمتع

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بالصدقية». ويضيف ان موت كنعان يشكل «عنصراً سلبياً الى حد ما بالنسبة الى رئيس لجنة التحقيق الدولية الذي يعجز عن حماية شهوده, وبهذا الانتحار سيكون ديتليف ميليس محرجاً اذا قرر العودة الى دمشق لاستجواب شهوده من جديد».
الا ان خبيرا آخر في الشؤون السورية هو نديم شحادة يعارض وجهة النظر هذه ويرى ان وضع النظام السوري لا يزال جيدا نسبيا اذا اخذنا بالاعتبار كل الضغوط التي يتعرض لها والصعوبات الاقتصادية التي يرزح تحتها».
ويقول شحادة مدير قسم الشرق الاوسط في معهد «شاتهام هاوس» البريطاني في لندن ان «مثل هذا النظام يبدو دائماً قويا بما فيه الكفاية» وبالتالي لا شيء يدل على نهاية قريبة له «لأن المعارضة الداخلية ضعيفة ولا توجد اجواء تمرد في سوريا».
في السياق اياه قال دبلوماسي غربي «رغم الصعوبات التي يواجهها لاصلاح نفسه, يبدو ان النظام صامد وهو مستمر رغم عقوبات الولايات المتحدة التي تتهمه بفسح المجال امام تسلل مقاتلين الى العراق, ورغم ابتعاد الأوروبيين عنه وعتب العرب لا سيما السعودية عليه».
وباختصار يمكن القول ان غازي كنعان الذي يردد البعض انه «ليس من الرجال الذين ينتحرون», قد انتحر في ظروف باتت معروفة, ولو ان ذلك يصعب تصديقه من قبل الكثيرين. والحقيقة التي يتلاقى عليها الجميع هي انه رجل حاملاً معه اسراراً كثيرة تتصل بالسنوات الاربعين الاخيرة في لبنان وسوريا معاً, كما في تركيا والعراق وفلسطين, لأن سوريا كانت حاضرة بقوة في محيطها الاقليمي. وهناك من يميل الى الاعتقاد بأن كنعان الذي خرج وحده من مكتبه وعاد اليه بعد نصف ساعة, انجز خلال النصف ساعة الأخيرة من حياته, مهمة بالغة الاهمية, قد تكون اكثر المهمات خطورة في حياته, هي تسليم وثائقه الشخصية وأوراقه الخاصة الى «جهة ما» لم يكشف احد عنها بعد وفاته.
واذا كانت الرصاصة التي اطلقها داخل فمه, وتموضعت في سقف الحنك, قد فجرت دماغه وبعثرت ذاكرته, فإن شيئاً لا يدل حتى الآن ان اوراقه ومذكراته وذكرياته قد بعثرت, والعثور على هذه الاوراق سيكون بكل تأكيد عملاً مذهلا, لانها شهادة قيمة جدا لتاريخ الرجل ودوره, ومرجعية لا غنى عنها لكتابة تاريخ المنطقة, خلال العقود الاربعة الاخيرة.

جاد بعلبكي

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية